المُعَلَّقة

على أثر حرب داحس والغبراء(*)، تدخَّل كل من هرم بن سنان والحارث بن عوف، وهما سيدان من سادات بني ذبيان، لإصلاح ذات البين بين عبس وذبيان وإيقاف الحرب بينهما، حيث دفعا من أموالهما ديات القتلى الذين لم يؤخذ بثأرهم، حيث بلغت ثلاثة آلاف بعير. إلّا أن حصين بن ضمضم أحد فرسان بني ذبيان، تعمّد أن يتغيّب يوم الصلح لأنه كان قد أقسم أن لا يغسل رأسه حتى يأخذ بثأر أخيه هَرِم من قاتله ورد بن حابس العبسي أو أي رجل من بني عبس. وقد صادف بعد الصلح أن قابل واحداً منهم فقتله حصين ثأراً لأخيه. وقد بلغ ذلك الخبر الحارث بن عوف وهرم بن سنان حيث اشتدّ عليهما، كما بلغ بني عبس الذين ضجوا من ذلك وركبوا نحو الحارث وهم على حالة من الغضب الشديد حزناً على صاحبهم، إلّا أن الحارث عاجلهم بإرسال مائة من الإبل مع ابنه ترضية لهم، وخيّرهم بين أن يأخذوا ابنه فيقتلونه مكان قتيلهم أو الإبل

(*) داحس: هي فرس لقيس بن زهير سيّد بني عبس. الغبراء: هي حجرة لحمل بن بدر سيّد بني فزارة من ذبيان. ولقد تراهن الرجلان عليهما، فلمّا كان موعد السباق في موضع يقال له ذات الأصاد، طلب حمل بن بدر من بعض عبيده أن يكمنوا في مكان ما قريب من نهاية الغاية لمراقبة السباق فإذا أحسوا بتقدم داحس عمدوا إلى ردعه ولطمه ليخلو الميدان للغبراء فتفوز في السبق، وهذا ما حصل. وبعث حُذيفة بن بدر أخو حمل، ابنه مالكاً إلى قيس بن زهير سيّد بني عبس يطلب منه حق الرّهان وكان مائة بعير، فأبى قيس دفعها وقتل مالكاً فوقعت الحرب بين القبيلتين.

وتتم المصالحة بينهم، فرضوا بالصلح. فقال زهير مُعَلَّقتَه الشهيرة يمدح هرم بن سنان والحارث بن عوف، ويحذّر القبيلتين من الحرب:

[من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ
بِحَوْمَانَةِ الدَّرّاجِ فالمُتَثَلَّمِ (١)

ودارٌ لها بالرَّقْمَتَينِ كأنّهَا
مَراجِيعُ وَشْمٍ في نَوَاشِرِ مِعصَمِ (٢)

بها العِينُ والأرْآمُ يَمشِينَ خِلْفَةً
وأَطْلاؤها يَنهَضْنَ مِنْ كلّ مَجْثَمِ (٣)

وَقَفْتُ بها مِنْ بَعدِ عشرِينَ حِجّةً
فلأياً عَرَفْتُ الدّارَ بَعدَ تَوَهّمِ (٤)

---

(١) أمُّ أوْفَى: اسم الحبيبة. الدمنة: آثار الدار وخاصة ما اسودّ منها بالرماد والتراب. حومانة الدرّاج والمتثلم: إسما موضعين.

(٢) الرَّقمتان: إسما موضعين وهما حرَّتان، إحداهما قريبة من البصرة والأخرى قريبة من المدينة. مراجيع وشم: أي الوشم المجدّد بعد أن كاد يمَّحي من طول الفراق. النواشر: العروق. المِعْصَم: موضع السوار من اليد.

(٣) العِيْن: مفردها عيناء، وهي الواسعة العَين، والمقصود هنا بقر الوحش. الأرآم: مفردها رئم، وهو الظبي الأبيض اللون. خلفة: أي يخلف بعضها بعضاً وهي كناية عن تواصل وتتابع القطعان. الأطلاء: مفردها طَلاً، وهو ولد الظبية أو البقرة الوحشية. المُجْثَم: موضع الجثوم، كالمربض وما شابه ذلك.

(٤) الحِجّة: السَّنة. اللأْي: الجهد. والمعنى، أنه وقف بعد مضي عشرين سنة يتفحّص آثار هذه الدار لعلّه يتثبّت معالمها وهو متوهّم لأن السنوات الطِّوال فعلت فعلها بها وغيرت معالم الدار.

أثـافـيَّ سُـفْـعـاً فـي مُـعَـرَّسِ مِـرْجَـلٍ
وَنُـؤيـاً كـجِـذْمِ الـحـوْضِ لـم يَـتَـثَـلّـمِ[١]
فـلـمّـا عـرَفـتُ الـدّارَ قُـلـتُ لـرَبْـعِـهـا:
ألا أنْـعِـمْ صَـبـاحـاً أيّـهـا الـرّبـعُ وٱسـلَـمِ[٢]
تَـبَـصّـرْ خَـلـيـلـي! هـل تـرَى مـن ظَـعـائِـنٍ
تَـحَـمّـلْـنَ بـالـعَـلْـيـاءِ مِـنْ فـوْقِ جُـرْثُـمِ[٣]
جَـعَـلْـنَ الـقَـنَـانَ عَـنْ يَـمِـيـنٍ وحَـزْنَـهُ
وكـمْ بـالـقَـنَـانِ مِـنْ مُـحِـلّ ومُـحْـرِمِ[٤]

---

(١) الأثافي: هي حجارة توضع تحت القدر. السُّفْع: السّود. ونصب (أثافيَّ سُفعاً) لأنه أراد القول: بعد توهُّمي أثافيَّ سُفعاً. المعرَّس: موضع تعريس القوم، أي مكان نزولهم للإستراحة من السفر ثم ارتحالهم. المِرْجل: القدر. النؤي: حفير ينصبّ فيه ماء المطر يُحفر حول البيت كي لا يدخل الماء إليه من خارج. جِذْم الحوض: حرفه وأصله، وقد شبّه الحفير حول البيت بالحوض لاحتفاظه بالماء بعض الوقت. لم يتثلم: لم يتكسر ولم تتغير معالمه بسبب صلابة موضعه.

(٢) الرَّبع: موضع الدار حيث أقاموا في الربيع. أنعم صباحاً: هي تحية ودعاء. وٱسلم: أي أن يسلّمك اللّه من أن تندرس بعوامل الطبيعة من رياح وأمطار ولكي تبقى مزاراً للمحبين تذكّرهم بأحبابهم.

(٣) تبصّر: بمعنى أنظر. الخليل: هو الصديق الودود أو الخِلُّ الوفي. الظعائن: مفردها ظعينة، وهي المرأة في الهودج على الإبل. تحمَّلْنَ: ترحَّلْنَ. العلياء: أي الأرض العلياء وهي اسم موضع. جرثم: موضع ماء يقال إنه لبني أسد.

(٤) القَنَان: جبل لبني أسد. عن يمين: أي عن يمين الظّعائن. الحَزْن: ما غَلُظ وارتفع من الأرض. من مُحِل: أي ليس في حُرْمة تمنعه من عهد وميثاق. ومُحْرِم: أي ممن له عهد أو ذمة وجوار وله حرمة من أن يُغار عليه.

عَـلَـوْنَ بـأنْـمَـاطٍ عِـتَـاقٍ وَكِـلّـةٍ
وِرادٍ حَـواشـيـهـا مُـشـاكِـهـةِ الـدّمِ(١)
وَوَرّكْـنَ فـي الـسُّـوبـانِ يَـعـلـونَ مَـتـنَـهُ
عَـلَـيْـهِـنّ دَلّ الـنّـاعِـمِ الـمُـتَـنَـعّـمِ(٢)
بَـكَـرْنَ بُـكـوراً واسْـتَـحَـرْنَ بـسُـحـرَةٍ
فـهُـنّ وَوَادي الـرّسّ كـالـيَـدِ لـلـفَـمِ(٣)
وفـيـهِـنّ مَـلْـهًى لـلّـطـيـفِ ومَـنْـظَـرٌ
أنِـيـقٌ لِـعَـيـنِ الـنّـاظِـرِ الـمُـتَـوَسِّـمِ(٤)
كـأنّ فُـتَـاتَ الـعِـهْـنِ فـي كـلّ مَـنـزِلٍ
نَـزَلْـنَ بِـهِ حَـبُّ الـفَـنَـا لـم يُـحَـطَّـمِ(٥)

(١) عَلَوْن: بمعنى أعلين. أنماط: مفردها نمط، وهو ثوب من صوف يطرح على الهودج. عِتاق: كِرام. الكِلّة: ستر رقيق يوضع تحت الأنماط. وِرَاد: مفردها وَرْد، والمراد هنا لون الوَرْد الأحمر أو لون الزعفران. الحواشي: النواحي أو الجوانب. مشاكهة: بمعنى مشابهة.

(٢) ورّكن: ركبن أوراك الدّواب. السوبان: اسم موضع. الدَّل: بمعنى الدَّلال. النّاعم: من النِّعمة أو طيب العيش. المتنعم: الذي تعوّد هذه النعمة.

(٣) بكرنَ بكوراً: أي سرنَ بكرة. واسْتَحَرْنَ بسُحرة: أي سرنَ سحراً. وادي الرّسّ: إسم موضع. والمعنى، أنهنّ سرن قاصدات هدفهنّ دون أن يُخطئنَه كما لا تخطئ اليد الممدودة أو القاصدة للفمّ.

(٤) الملهى: بمعنى اللّهو أو موضعه. اللّطيف: هو الذي ليس فيه جفاء. الأنيق: الحُسْن المُعْجِب: المُتَوسِّم: المتتبع أو المتفرّس في الشيء، وهنا تعني، الناظر المتوسّم في محاسن ومناظر الجمال.

(٥) الفُتَات: القطع المتفرّقة. العِهْن: الصُّوف أو ما كان منه مصبوغاً. حَبّ الفَنَا: نوع من الثمر الأحمر اللّون ويُسمّى عنب الثعلب. لم يُحطّمْ: لم=

فَلَمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ
وَضَعْنَ عِصِيّ الحاضِرِ المُتَخَيِّمِ[١]
ظَهَرْنَ مِنَ السُّوبانِ ثمّ جَزَعْنَهُ
عَلى كلّ قَيْنِيٍّ قَشيبٍ ومُفْأَمِ[٢]
فأقسَمتُ بالبَيتِ الذي طافَ حَوْلَهُ
رِجالٌ بَنَوْهُ مِن قُرَيْشٍ وجُرْهُمِ[٣]
يَمينا لَنِعْمَ السّيّدانِ وُجِدْتُمَا
عَلى كلّ حالٍ مِن سَحيلٍ ومُبْرَمِ[٤]

= يتكسّرْ. والمعنى العام، أن قطع العهن المصبوغ التي زُينت بها الهوادج هي أشبه ما تكون بحب عنب الثعلب قبل أن يتحطم.

(١) الزرق: مفردها زرقة، وهي شدة الصفاء. الجِمام: مفردها جم، وهو ما اجتمع من الماء في البئر أو الحوض. وضعن العِصيّ: أي أقمن، ووضع العصيّ هو كناية عن الإقامة. المتخيّم: الذي يبتني الخيمة.

(٢) السوبان: اسم واد. وظهرن: بمعنى خرجن. جزعنه: أي قطعنه. القَيْن: المعنى هنا كل صاحب صنعة. القشيب: الجديد. المُفْأم: المُوسّع، أو الذي زِيْدَ فيه ليتّسِع.

(٣) المعنى، أنه حلف بالكعبة المُشَرَّفة التي طاف حولها مَنْ بناها من القبيلتين المذكورتين قريش وجرهم. قريش: قبيلة عربية قبضت على زمام الأمور في مكة المكرّمة ينتسب إليها النبيّ الكريم محمد ﷺ. جرهم: قبيلة عربية قديمة ذكر أنها نزحت من اليمن وأقامت في مكة المكرّمة وهلكت كما هلك كثير من القبائل القديمة.

(٤) يميناً: مرتبطة بالبيت السابق، أي أقسمت يميناً. لَنِعْم: هو فعل غير متصرِّف لإنشاء المدح. السيدان: هما هرم بن سنان والحارث بن عوف. السحيل: هو أن يُفتل خيط واحد لا يُضم إليه آخر. والمبرم: هو أن يُفتل خيطان معاً ثم يتحولان إلى خيط واحد. والمعنى المجازي، هو في حالتي الضعف والقوة.

تَـدَارَكْـتُـمـا عَـبْـسـاً وذبـيـانَ بَـعْـدَمَـا
تَـفَـانـوا ودقّـوا بَـيـنَـهُـمْ عِـطْـرَ مَـنـشَـمِ[١]

وقـد قُـلـتُـمـا: إنْ نُـدرِكِ الـسّـلـمَ واسِـعـاً
بـمـالٍ ومَـعْـرُوفٍ مِـنَ الـقَـوْلِ نَـسـلَـمِ[٢]

فـأصْـبَـحـتُـمـا مـنـهـا عـلـى خـيـرِ مَـوْطِـنٍ
بَـعـيـدَيـنِ فـيـهـا مِـنْ عُـقُـوقٍ ومَـأثَـمِ[٣]

عَـظـيـمَـيـنِ فـي عُـلْـيَـا مَـعَـدٍّ هُـديـتُـمـا
وَمَـنْ يَـسـتَـبِـحْ كـنـزاً مِـنَ الـمـجـدِ يَـعـظُـمِ[٤]

(١) المعنى، أنكما تداركتما عبساً وذبيان، بالصلح ولكن بعدما شاركت القبيلتان بالحرب وأفنى القتال الفرسان والرجال من الطرفين. ودقوا بينهم عطر منشم: إشارة إلى قصة تُروى عن قوم تحالفوا فيما بينهم لقتال الأعداء فأدخلوا أديهم في (عطر منشم) على أن يقاتلوا حتى الموت. ومنشم: قيل إنها امرأة عطّارة. وقد جرى هذا المثل للتعبير عن شدّة القتال حيث صار الناس يتشاءمون عند ذكر (عطر منشم).

(٢) المعنى، أنكما أدركتما بحكمتكما أنه إذا كان وقف الحرب وإشاعة السّلم يكون ببذل المال والكلمة الطيبة فهو خير من القتال وإفناء القبائل بالحرب.

(٣) خير موطن: أي خير منزلة. العقوق: قطيعة الرَّحِم. المأثم: بمعنى الإثم. والمعنى العام للبيت، يؤكد أنهما سعيا في طلب الصلح وتثبيت السّلم بين عبس وذبيان ووصلا الرّحِم، وهما إذاً لم يعقّا ولم يأثما.

(٤) عُليا مَعَدّ: يريد أعلاها. ومَعَدّ: إسم أُطلق على بعض القبائل العربية خاصة في شمال جزيرة العرب ومنها ربيعة ومُضر. هُديتما: من الهداية وتعني هنا الدعاء لهما. ومَنْ يستبح: أي مَنْ يجد الأمر مباحاً. يعظم: يجيء بأمر عظيم.

تُعَفّى الكُلُومُ بالمِئِينَ فأصْبَحَتْ
يُنَجّمُها مَنْ لَيسَ فيها بمُجْرِمِ[١]
يُنَجّمُهَا قَوْمٌ لقَوْمٍ غَرَامَةً
وَلم يُهَريقوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مِحجَمِ[٢]
فأصْبَحَ يجري فيهِمُ مِنْ تِلادِكُمْ
مَغَانِمُ شَتّى مِنْ إفَالٍ مُزَنَّمِ[٣]
ألا أبْلِغِ الأحلافَ عنّي رِسالَةً
وذبيانَ: هل أقسَمتُمُ كلَّ مُقسَمِ[٤]

(١) تُعَفَّى: تُمْحَى. الكلوم: الجراح: بالمئين: أي بالمئين من الإبل. والمعنى العام، أن إيقاف الحرب تم بالعفو وبتضميد الجراح أي بدفع ديات القتلى التي توزعت على من هو بريء ولم يشارك في هذه الحروب وأخرجت بشكل نجوم، وهي الطريقة المتبعة آنذاك، فيقال مثلاً: «جعلت مالي عليه نجوماً مُنجّمة يُؤَدّى كلُّ نجم منها في وقت كذا»، وكل ذلك جرى بسبب هذين الرجلين العظيمين هرم بن سنان والحارث بن عوف.

(٢) المعنى، أن هناك مَنْ يُشِيع السّلم والصلح بين النّاس ولهم الفضل في عدم إراقة الدّماء، لأنهم لم يهرقوا أصلاً مقدار ما يملأ محجماً من الدّماء، وبالتالي هم الذين يتكفّلون وينجّمون الديات عن سواهم لترسيخ الصلح والسلم بين القوم.

(٣) التِّلاد: بمعنى التليد، وهو هنا المال القديم الموروث. المغانم: مفردها مغنم، وهو بمعنى الغنيمة أي المكسب عموماً أو ما يؤخذ من المحاربين عنوة. شتّى: متفرّقة. الإفال: مفردها أفيل، وهو صغير السن من الإبل. المزنّم: أي المعلّم بزنمة، وهي ما يُقطع من أُذُن البعير أو الشاة فيترك معلقاً وعادة ما يُفعل بكرام الإبل.

(٤) الأحلاف: بمعنى الحلفاء، والمقصود بهم هنا: أسد وغطفان وطيء. هل أقسمتم كل مُقسَم: أي كل الإقسام لتفعلنّ ما لا ينبغي.

فلا تَكْتُمُنّ اللَّهَ ما في نُفوسِكُمْ
ليَخفَى ومَهما يُكتَمِ اللَّهُ يَعلَمِ (١)
يُؤخَّرْ فَيُوضَعْ في كتابٍ فيُدّخَرْ
لِيَوْمِ الحِسابِ أوْ يُعَجَّلْ فيُنقَمِ (٢)
وما الحَرْبُ إلّا ما عَلِمتُمْ وذُقتُمُ
وما هوَ عَنها بالحَديثِ المُرَجَّمِ (٣)
متى تَبْعَثُوها تَبْعَثُوها ذَميمَةً
وَتَضْرَ إذا ضَرّيْتُمُوها فتَضْرَمِ (٤)
فتَعرُككُمْ عَرْكَ الرّحَى بثِفالِها
وتَلْقَحْ كِشافاً ثمّ تُنْتَجْ فتُتْئِمِ (٥)

(١) لا تَكْتُمُنّ: أي لا تُضْمِرُنّ خلاف ما تظهرون. والمعنى العام للبيت، هو أن اللَّه يعلم السرّ وما تُخفي النفوس، لذلك فإذا كنتم بحاجة إلى الصلح وهو ما تسعون إليه، فلا تظهروا عكس ذلك وتدّعوا أنكم لستم بحاجة إليه.

(٢) يريد القول استكمالاً للبيت السابق: لا تكتموا اللَّه ما في صدوركم فيُؤخّر ذلك ليوم الحساب فتحاسبوا عليه أو يُعجّل لكم في الدنيا النّقمة.

(٣) ما علمتم: أي ما عرفتم بالعقل. وذقتم: أي وجرَّبتم من خلال الواقع. الحديث المُرجّم: أي الحديث المَظْنُون، الذي يُحكم فيه على الأشياء بالظن فيها. والحرب ليست من هذا القبيل بل من خلال الشواهد والتجارب المريرة.

(٤) تبعثوها: أي تبعثوا الحرب. ذميمة: بمعنى مذمومة. تَضْرَ: من الضّرى، أي الشّدة والضراوة. تَضْرَم: أي تضطرم وتلتهب. والمعنى العام للبيت، هو التحذير من إعادة إشعال الحرب.

(٥) تعرككم: أي الحرب. عَرَّك الرّحى: طَحْن الرّحى. الثِّفال: هي خرقة =

فـتُـنـتِـجْ لـكـم غِـلـمـانَ أشـأمَ كُـلّـهُـمْ
كـأحـمَـرِ عـادٍ ثـمّ تُـرْضِـعْ فـتَـفْـطِـمِ(١)
فـتُـغْـلِـلْ لـكُـمْ مـا لا تُـغِـلّ لأهْـلِـهـا
قُـرًى بـالـعِـراقِ مِـنْ قَـفِـيـزٍ وَدِرْهَـمِ(٢)
لَـعَـمْـري لَـنِـعْـمَ الـحـيّ جَـرّ عَـلَـيـهِـمُ
بـمـا لا يُـؤاتِـيـهِـمْ حُـصَـيْـنُ بـنُ ضَـمْـضَـمِ(٣)

= أو جلدة توضع تحت الرّحى كي يقع عليها الطحين. وعبارة «الرّحى بثفالها» هي دلالة على أن الرّحى جاهزة للطحن وتعني هنا حصول المعركة الطاحنة. وتلقح كشافاً: أي تداركم الحرب، وهي مأخوذة من: لقحت الناقة كشافاً إذا حُمل عليها في دمها أو إثر نتاجها، وذلك أردأ النتاج. تتئم: أي تلد توأمين. وهذه الصورة هي إشارة إلى الأمر المذموم لأن المحمود أن تحمل الناقة أو النعجة سنة بعد سنة، وهي بالتالي صورة عن فظاعة الحرب ونتائجها.

(١) تُنتج: بمعنى تُولد. غلمان: أولاد. أشأم: بمعنى شؤم. كأحمر عاد: أراد كأحمر ثمود الذي عقر الناقة، وقد أجاز استعمال عاد بدل ثمود للتقارب بينهما في الزمن والعادات أو لأنه يقال لثمود عاد الأخيرة ويقال لقوم هود عاد الأولى. والمعنى العام، أنه يُولد لكم في الحروب أبناء هُمْ شؤم على آبائهم كعاقر الناقة، ترضعهم وتفطمهم الحروب.

(٢) المعنى، أن هذه الحرب تُغِلُّ لكم من هذه الدماء ما لا تُغِلُّ قرىً بالعراق وهي تُغِلُّ القفيز والدرهم. وهذا بالطبع نوع من التهكّم والإستهزاء لأن الناس قد كثرت غلّاتهم بسبب كثرة أموالهم التي تعود عليهم من ديات قتلاهم.

(٣) جَرَّ عليهم: بمعنى جنى عليهم. بما لا يؤاتيهم: بما لا يوافقهم. حصين بن ضمضم: هو من بني مرّة، كان قد أبى أن يدخل في صلحهم، وحينما اجتمعوا للصلح انتهز الفرصة المناسبة فأنقضّ على رجل منهم فقتله، آخذاً بثأره بسبب قتل ورد بن حابس العبسي لهرم بن ضمضم قبل هذا الصلح.

وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُستكِنةٍ
فَلا هُوَ أبْداها وَلم يَتَقَدّمِ[١]

وقالَ: سأقضي حاجَتي ثمّ أتّقي
عَدُوّي بأَلْفٍ مِن وَرَائيَ مُلْجَمِ[٢]

فَشَدّ فَلَمْ يُفْزِعْ بُيوتاً كَثِيرَةً
لدى حَيثُ ألقَتْ رَحلَها أُمُّ قَشعَمِ[٣]

لدى أسَدٍ شاكي السّلاحِ مُقَذَّفٍ
لَهُ لِبَدٌ أظْفارُهُ لم تُقَلَّمِ[٤]

---

(١) الكشح: الخاصرة، أي ما بين السُّرة ووسط الظهر. ويقال: «طوى كشحه عن فلان أو طوى كشحاً عنه» أي أعرض عنه وقاطعه. ومنها الكاشح، أي العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه. المستكنّة: المستترة، من أكنّ الشيء، أي ستره ولم يظهره. فلا هو أبداها: أي لم يُبْدها. ولم يتقدّم: أي لم يتقدم في الحرب أو لم يَدَع التقدّم على ما أضمر في نفسه.

(٢) وقال: أي وقال حصين بن ضمضم. سأقضي حاجتي: أي سآخذ بالثأر من قاتل أخي. ثم أتّقي عدوي... إلخ: أي أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس ملجم فرسه يمنعون عني الأخطار.

(٣) شدَّ: أي حزم أمره، وشدَّ الشيء، أي عقده وأوثقه. يُفْزِعْ: يُخِفْ. ألقت رحلها: أي نزلت. أم قشعم: كناية عن الحرب أو المنيّة التي هي نتيجة للحرب. والمعنى، أن حصين بن ضمضم قد حمل على الرجل الذي أراد الثأر منه ولم يتعرض لغيره عند وقوع الحملة.

(٤) شاكي السلاح: أي سلاحه ذو شوكة. مقذَّف: أي كثير القذف في المعارك والقتال. اللِّبَد: الشعر المتراكم الكثيف على منكبي الأسد. أظفاره لم تُقَلّم: كناية عن قوّته وسلاحه التام إذ من أسباب قوة الأسد براثنه. وقد استعار الشاعر صفات الأسد هذه للدلالة على قوة شوكة حصين بن ضمضم.

جَـريءٍ مـتـى يُـظـلَـمْ يُـعـاقـبْ بـظُـلـمِـهِ
سَـريـعـاً وإلّا يُـبـدَ بـالـظّـلْـمِ يَـظـلِـمِ[١]
رَعَـوْا ظِـمْـأهُـمْ حـتـى إذا تَـمّ أوْرَدوا
غِـمـاراً تَـفَـرّى بـالـسّـلاحِ وبـالـدّمِ[٢]
فـقَـضّـوا مَـنَـايَـا بَـيْـنَـهُـمْ ثـمّ أصْـدَرُوا
إلـى كَـلإٍ مُـسـتَـوْبِـلٍ مُـتَـوَخِّـمِ[٣]
لَـعَـمْـرُكَ مـا جَـرّتْ عَـلَـيـهِـمْ رِمـاحُـهـم
دَمَ ابـنِ نَـهـيـكٍ أوْ قَـتـيـلِ الـمُـثَـلَّـمِ[٤]

(١) يريد القول: إن حصين بن ضمضم هو رجل جريء ينتقم ممن ظلمه سريعاً، وإن لم يبدأه أحد بالظلم بادر هو إلى ظلم الناس وذلك إظهاراً لشجاعته وقوة بلائه في الحرب.

(٢) الظمء: ما بين الشربتين. الغِمار: الماء الكثير. تفرّى: تَشَقَّق. والمعنى العام، هو أنهم أقاموا فترة في حالة سلام ثم دخلوا حرباً تفرّت بالسلاح وسفك الدماء، وذلك كما ترعى الإبل مدة معلومة، ثم عادوا للمعارك كما تورد الإبل بعد الرعي وكأنما الحروب بمنزلة الغِمار.

(٣) قضّوا: بمعنى أتمّوا. أصدروا: رجعوا بعد أن أوردوا. الكلأ: العشب، رطبه ويابسه. مستوبل: من استوبل الشيء، أي وجده وبيلاً. متوخِّم: من توخّم الشيء، أي وجده وخيماً. والوبيل والوخيم: أي الذي لا يُستمرأ. والمعنى، أن أمرهم صار إلى وخامة وفساد، وذلك بعد أن قضّوا منايا بينهم أي قتل كلّ من الفريقين جماعة من الفريق الآخر استعداداً للقتال مرة أخرى كما تصدر الإبل فترعى إلى أن تُورد مرة ثانية إلى كلإٍ وبيل ووخيم.

(٤) المعنى، أن هؤلاء المصلحين الذين يَدُونَهم لم تَجرّ عليهم رماحهم دماءهم، بل حملوا دم ابن نهيك وقتيل المثلّم تبرعاً منهم لدواعي الصلح بين القوم.

وَلا شارَكَتْ في المَوْتِ في دَمِ نَوْفَلٍ
وَلا وَهَبٍ منها وَلا ابنِ المُخَزَّمِ (١)
فكُلّاً أراهُمْ أصبَحُوا يَعقِلُونَهُ
صَحيحاتِ مالٍ طالِعاتٍ بمَخرِمِ (٢)
لِحَيٍّ حِلالٍ يَعصِمُ النّاسَ أمرُهُمْ
إذا طَرَقَتْ إحدَى اللّيالي بمُعْظَمِ (٣)
كِرامٍ فلا ذو الضِّغْنِ يُدرِكُ تَبْلَهُ
وَلا الجارِمُ الجاني عَلَيهِمْ بمُسلَمِ (٤)
سَئِمتُ تَكاليفَ الحَياةِ، وَمَنْ يَعِشْ
ثَمانِينَ حَوْلاً لا أبَا لكَ يَسْأمِ (٥)

---

(١) المعنى، كما في البيت السابق، أن هؤلاء لم يشاركوا في دم نوفل، ووهب ولا ابن المُحزَّم.

(٢) يعقلون: أي يدفعون بدل الدِّية عن القتيل. صحيحات مال طالعات بمخرِم: كناية عن الإبل التي تعلو في ثنيّات الجبال الذاهبة إلى أصحاب الدِّيات أي أولياء المقتولين. والمخرِم: هو الثنية في الجبل أو الطريق.

(٣) لحيٍّ حِلال: أي لحيٍّ كثير. والحِلال: جماعة البيوت أو المجتمع حيث يحل القوم. يعصم الناسَ أمرُهم: أي يعتصمون ويستمسكون به إذا ائْتَمَرُوا أمراً كان عصمة للناس. طرقت: أتت ليلاً. بمعظم: أي بأمر فظيع أو خَطْب داهم.

(٤) الضِّغن: الحقد في الصدر أو ما يستكن في القلب من العداوة. التَّبْل: الغِلّ أو الحقد. الجارم: أي الذي أتى بالجرم أو الذنب. الجاني: الذي أتى بفعل الجناية وهو أيضاً بمعنى الجارم. بمسلَم: أي إذا جنى عليهم جان منهم شراً إلى غيرهم لم يسلّموه له لعزهم ومنعتهم.

(٥) سئمت: مللت. تكاليف الحياة: شدائدها. الحول: السَّنَة. لا أبا لك: =

وأعْـلَـمُ مـا فـي الـيَـوْمِ والأمْـسِ قَـبـلَـهُ
ولـكِـنّـنـي عَـن عِـلْـمِ مـا فـي غَـدٍ عَـمِ (١)
رَأيـتُ الـمَـنـايَـا خَـبـطَ عَـشـواءَ مَـنْ تُـصِـبْ
تُـمِـتْـهُ وَمَـنْ تُـخـطـئ يُـعـمَّـرْ فـيَـهـرَمِ (٢)
ومَـنْ لـم يُـصـانِـعْ فـي أمـورٍ كَـثـيـرَةٍ
يُـضَـرَّسْ بـأنْـيـابٍ ويُـوطـأ بـمَـنْـسِـمِ (٣)
ومَـنْ يـجـعـلِ الـمـعـرُوفَ مِـنْ دون عِـرْضِـهِ
يَـفِـرْهُ وَمَـنْ لَا يَـتّـقِ الـشّـتـمَ يُـشـتَـمِ (٤)

= المقصود بها اللّوم، وهذه العبارة تستعمل عادة عند الجفاء وتشديد الأمر أو التنبيه والإعلام والملامة.

(١) المعنى، أنه يعلم ما مرّ به في اليوم والأمس، ولكنه يجهل أو يعمى عمّا هو قادم في آتي الأيام.

(٢) المعنى، أن الموت يصيب الناس على غير بصيرة وتنسيق كالناقة التي تخبط الأرض على غير قصد كما لو أنها ضلّت الطريق بسبب ما أصابها من حالة العشو، لأن من تصبه المنايا تهلكه، ومن تخطئه يعش طويلاً حتى الهرم. المنايا: مفردها منيّة، وهي الموت. خبط عشواء: يقال يخبط خبط عشواء، أي يتصرف في الأمور على غير بصيرة، وهي مأخوذة من خبط البعير برجله أي وطأ وطئاً شديداً.

(٣) يصانع: يداري أو يجامل. ضَرَّس: عَضّ على الشيء بالضِّرس. المنسم: المنسم للبعير مثل الظفر للإنسان. والمعنى العام للبيت، أن من لا يداري ويداهن الناس في كثير من أمورهم، قهروه وغلبوه على أمره.

(٤) المعنى، أن من يفعل الخير ويبذل المعروف من أجل صيانة عرضه فقد يحميه ذلك من المكاره، ومن يبخل به عن عرضه يتعرض للشتم.

وَمَـنْ يَـكُ ذا فَـضْـلٍ فَـيَـبْـخَـلْ بـفـضْـلِـه
عـلـى قَـوْمِـهِ يُـسـتَـغْـنَ عـنـهُ ويُـذْمَـمِ (١)
ومَـنْ يُـوفِ لا يُـذْمَـمْ وَمَـنْ يُـهْـدَ قـلـبـه
إلـى مُـطـمَـئِـنّ الـبِـرّ لا يَـتَـجَـمَـجـمِ (٢)
ومَـنْ هـابَ أسـبـابَ الـمَـنَـايـا يَـنَـلْـنَـهُ
وإنْ يَـرْقَ أسْـبـابَ الـسّـمـاءِ بـسُـلّـمِ (٣)
ومَـنْ يـجـعَـلِ الـمَـعـرُوفَ فـي غـيـرِ أهـلِـهِ
يـكُـنْ حَـمـدُهُ ذَمّـاً عـلَـيـهِ ويَـنْـدَمِ (٤)
ومَـنْ يَـعـصِ أطـرَافَ الـزِّجـاجِ فـإنّـهُ
يُـطـيـعُ الـعَـوالـي رُكّـبَـتْ كـلَّ لَـهـذَمِ (٥)

---

(١) المعنى، أن من كان ذا فضل وبخل على أهله يعرّض نفسه للذم ويستغني عنه قومه.

(٢) المعنى، أن من يتخذ الوفاء نهجاً له، يُبعد نفسه عن الذم، ومن يسلك سبيل الهدى ويطمئن قلبه في عمل البر أي الصلاح، لا يتردد في تسديده. تجمجم: يقال تجمجم عن الأمر، أي لم يقدم عليه.

(٣) المعنى، أن من خاف من أسباب المنايا، لم ينفعه خوفه في الوقاية والهرب منها ولو رقي أسباب السماء.

(٤) المعنى، أن من وضع إحسانه في غير مكانه، أي في يديّ من لا يستحق ناله ذم من أحسن إليه، وأحسَّ بالندم صاحب المعروف.

(٥) الزِّجاج: مفردها زُجّ، وهو الحديدة التي في أسفل الرمح ويقابله السِّنان. العوالي: الرِّماح، والمقصود هنا رؤوس الرِّماح. ولا بدّ من الإشارة أيضاً إلى أحقيّة فتح حرف الياء في: «يطيع العوالِيَ» ولكن تم التسكين لضرورة الوزن. اللَّهذم: الحادُّ القاطع من السيوف والأسنَّة. ولتوضيح المعنى نلقي الضوء على عادة كان يلجأ إليها المتخاصمون، وهي أن يستقبلوا بعضهم إذا =

ومَـنْ لـم يَـذُدْ عَـن حَـوْضِـهِ بـسِـلاحِـهِ
يُـهـدَّمْ ومَـنْ لا يَـظـلِـمِ الـنّـاسَ يُـظـلَـمِ (١)
ومَـنْ يَـغـتـرِبْ يـحْـسِـبْ عَـدُوّاً صَـديـقَـهُ
ومَـنْ لـم يُـكَـرِّمْ نَـفـسَـهُ لـم يُـكَـرَّمِ (٢)
ومَـهـمـا تـكُـنْ عـنـدَ امـرِئٍ مـن خـلـيـقـةٍ
وإنْ خـالَـهـا تَـخـفَـى عـلـى الـنّـاسِ تُـعـلَـمِ (٣)
وكـائِـنْ تـرَى مـن صـامـتٍ لـك مُـعـجِـبٍ
زِيـادَتُـهُ أوْ نَـقـصُـهُ فـي الـتّـكَـلّـمِ (٤)
لِـسـانُ الـفَـتـى نِـصْـفٌ ونِـصْـفٌ فـؤادُهُ
فـلَـمْ يَـبـقَ إلّا صُـورَةُ الـلّـحـمِ والـدّمِ (٥)

= أرادوا الصلح بأزجَّة الرِّماح، فإن لم يتفقوا قلبوا الزِّجاج واستبدلوها بالأسنّة وقاتلوا بعضهم بعضاً.

(١) الذَّود: الدّفاع أو الرّدع. ومعنى البيت، أن من لم يَحْمِ حوضه ويدافع عنه استبيحت حرماته، ومن لم يكفَّ ظلم الناس عنه ظلمه الآخرون.

(٢) المعنى، أن من يسافر بعيداً عن قومه ويغترب عنهم يحسب الأعداء أصدقاء له لأنه لم يختبرهم ومن لم يكرّم نفسه باحترامه لها أطمع فيه الناس بعدم احترامه والإساءة إليه.

(٣) الخليقة: الطبيعة أو السليقة. والمعنى، أنه مهما أخفى الإنسان ما فُطِر عليه من خلق، فلن يخفى على الناس.

(٤) المعنى، أنه كم من إنسان صامت يعجبك ظاهره فتستحسنه، ولا تستطيع تقديره زيادة أو نقصاً إلّا عند تكلّمه.

(٥) هذا البيت هو استكمال للبيت السابق، إذ أن المرء بأصغريه: قلبه ولسانه كما يقول المثل عند العرب.

وإنّ سَفَاهَ الشّيخِ لا حِلمَ بَعدَهُ
وإنّ الفتى بَعدَ السّفاهةِ يَحْلُمِ[١]

سألنا فأعطَيتُمْ وعُدْنا فَعُدْتُمُ
وَمَنْ أكثرَ التّسآلَ يَوْماً سَيُحرَمِ[٢]

الجَوَاد على عِلاَّتِه هَرِم

يمدح هرم بن سنان:

[من البسيط]

قِفْ بالدّيارِ التي لم يَعفُها القِدَمُ
بَلى وَغَيّرَها الأرْوَاحُ والدِّيَمُ[٣]

---

(١) المعنى، أن الشيخ السّفيه لا يُتوقع له أن يصير رجلاً حليماً لصعوبة التغيير عند الكبر وإنما يُرجى من الفتى السّفيه أن يكتسب الحلم والوقار بعد السّفاهة وحالة الجهل.
وهذا البيت يذكرنا بقول الشاعر صالح بن عبد القدوس:
لا يبلُغ الأعداءُ من جاهلٍ ما يبلُغُ الجاهلُ من نفسِهِ
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسِهِ

(٢) المعنى، أننا سألنا جودكم ومعروفكم فأجبتم وأعطيتم، وعدنا مرة أخرى فلم تخيبوا رجاءنا، ولكن من يُكثر السؤال عليه أن يتوقع الحرمان. والتسآل: بمعنى السؤال.

(٣) لم يعفها: لم يمحُ أثرها. القِدَم: مرور الزمن. الأرواح: بمعنى الرياح. الدِّيم: مفردها ديمة، وهي المطر الدائم في سكون بلا رعد ولا برق.